الصنم

بقلم : رضا المنياوى

كنا ثلاثة نلتقى كل مساء لنمضي سهرتنا سويا. انا وطبيب وصديق ثالث، وسهرات الصيف تطول ، نقضيها فى مكان هادىء على النيل نتحدث دائما عن الانسان — هل هو صنيعة الله — خلقه ليسيره ام انه نتيجة تطور مجتمعات هى وحدها المسئولة عنه .

كنت وصديقنا الثالث دائما نختلف — اقول الله وروحه الساكن فينا قادر فيرد ان الظروف تحول ، وننتهى بأن يتمنى صديقنا لو اصبح حمارا يسير الى حيث لا يدرى ويرجع فيستريح بلا احتراق .

كل ذلك والدكتور غارق فيما به — اسرار مرضاه التى تملأه لكنها قدسية المهنة — لا كلام طوال السهرة الا زفرات حارة كأنها دخان حرائق فى صدره ، واساله ما بك يادكتور — دكتور اعصاب نشم رائحة اعصابه تحترق ! فيرد مبتسما .. الانسان ... !!! ويتحرك فننهض لنسير حتى نحس بالتعب فنفترق لنلتقى فى الليلة المقبلة — كانت هذه عادتنا .

لكن حدث أن اختفى الدكتور بعد ان امضي معنا ايامه الأخيرة فى صورة غريبة ، يجلس معنا صامتا وفجأة يتحرك ليتكلم ثم يرجع ليسترخى على كرسيه بعد ان تفلت من شفتيه كلمات او مقاطع كلمات كنا نحس فيها بامتلاء نفسه — اساله فلا يجيب فيعيد صديقنا السؤال فيتبرم وننشغل عنه بالحديث فيتكرر ما حدث .

مرت ايام احسسنا بطولها لافتقادنا الى الدكتور ، ذهبنا نسأل عنه فوجدناه يجلس فى حجرته ، الحجرة مظلمة الا من مصباح على مكتبه وبين يديه كتاب .

وكأنه لم يحس بنا ، جلسنا وابتدا الدكتور بلا مقدمات وكأننا نجلس معه من ساعات .

— غريبة قوى البنت دى ..!!

— اى بنت يا دكتور تلك التى تحكى عنها ... وكأننى ايقظته فنظر الينا ليكمل .

مريضة زارتنى فى الاسبوع الماضي ، جاءت ومعها رجلان ، أولهما ، اسمعوا جيدا ، اقول اولهما لانك اذا نظرت اليها لا بد ان تلتفت أولا اليه فملامحه تنبهك ، وجه صلب ونظارة سميكة وشعر يختلط

فيه الاسود بالابيض وبنـــاء قوى فيه الصمود ، والآخـر اكبر منه سـنا اذا نظرت اليه تحس أنه لا يرى نفسه .. يتحاشـاها .. مطاطىء الراس وكأنه ينظـر الى أقدامه او الى لاشيء — ومريضتنا هذه تتوسطهم تجلس هادئة فى أعماقها حيرة وفى نظرتها ذكاء .

سألتهم فعرفت أنها طالبة بالتوجيهية دخلت لتمتحن وفى آخـر ايام الامتحان انتابتها حالة عصبية اعقبها اغماء منعها من الاستمرار . هذا ماعندهم ، طمأنتهم لان ذلك الاحسـاس يتملك كل الطلبة نتيجة الارهاق واقتربت منها فوضعت يدى على كتفها لكنى فوجئت بهـا وقد قفزت وعيناها مفتوحتـان فى ذعر تتحركان بسرعة تبحث عن الباب فتتجه اليه صارخة «آنكل فؤاد..آنكل فؤاد» فتحت الباب فوجدت الرجل الثانى يتجه الى الفتاة مسرعا مطمئنـا ووراءه وفى خطوات ثقيلة الرجل الاول ، فلما راته اتجهت اليه تتعلق به — طمأنها فهدات وخرجنا لنجلس .

— عرفت أن الرجـل الاول فؤاد او آنكل فؤاد كما تسميه الفتاة او الاستاذ فؤاد كما يناديه شفيق افندى — هو زوج خالة الفتاة اما شفيق افندى فهو والدها .

امضينا فترة كبيرة نتكلم لـكن الفتاة مازالت مضطربة وكلما ركزت عليهـا نظرى ظهر اضطرابها اذ لا مفـر من تحذيرها وفعـلا اعطيتها حقنة مخدرة وطلبت منهم أن يذهبوا بها الى المنزل بسرعة لانها ستنام وفى المساء وقبل ان تستيقظ سأكون بجوارها .

وفى المساء كنت هنـاك فى منزلهم دخلت فوجدتها نائمـة بفعل المخدر — جلسـت جوارها ونبهتها فاسـتيقظت نصف نائمة .

جانيت .. لقـد نمت طويلا .. استيقظى — لقد حضرت لاطمئن عليك واتحدث معك ، حدثينى عن الامتحان لقد عرفت أنك ذكية مجتهدة فكيف حدث ذلك فى الامتحان ، هل كانت اسئلة الجغرافيا صعبة أم أنك كنت مرهقة .. اعتدلت جانيت وابتدات تكلمنى فى هدوء ... كنت اذاكر كل ساعات النهار وفى المساء يأتى آنكل فؤاد ليشرح لى ويعيد على ماذاكرته كل يوم حتى اتممت المقررات بعد ان شرحهمـا لى آنكل فؤاد ثلاث مرات كل يوم يحضر فى المساء ليشرح لى دروسا أذاكرها فى النهـار حتى احفظها — لم اكن خائفة من الامتحان لان انكل فؤاد اخبرنى انى مجتهدة ولا بد ان انجح وخصوصا وانها السنة الثانية لى فى التوجيهية فلقد رسبت فى العـام الماضي لانى لم اذاكر وانكل فؤاد لم يكن معى ، وعند مابدأ الامتحـان كان آنكل فؤاد يحضر كل مساء ليراجع لى الدروس وفى الصـباح يأخذنى فى تاكسي الى اللجنة فينتظرنى الى أن انتهى وارجـع معه الى المنزل فيتركنى ليعود فى المساء حتى كان يوم الثلاثاء عندما ارسل آنكل فؤاد يعتذر عن الحضور لمرضه وحاولت ان اذهب لأراه لكنهم منعونى ولم اذاكر وفى الصـباح لم يحضر لنذهب الى الامتحان وذهبت مع والدى وفى الطريق حاولت أن ازور آنكل فؤاد ولكن والدى رفض لان الوقت متـأخر — استعطفته لكنه أصر وحاولت بشتى الطـرق فزاد اصرار والدى عندما عرف ان الساعة قد قاربت السابعة والنصف فأحسست

بدوار شديد وبكيت وكنـــا قد وصـــلنا اللجنة .

كانت جانيت تتكلم وكأنها تتكلم فقط لتردد اسمفؤاد وكلما نطقتبه أحسست برنة خاصة وعندما وصلت بكلامها الى ذكر اللجنةبرقت عيناها فىذعر وتحركتا فى سرعة وصرخت ... آنكل فؤاد .. آنكل فؤاد .. أسرعت فأعطيتها حقنة مخدر ووقفت بجوارها حتى نامت وهى تردد آنكل فـــؤاد .. آنكل فـــؤاد .. تركتها وخرجت لاجد والدها على باب الحجرة يقف فى حـــيرة وبجـــواره

والدتها ـ اغلقت باب الحجرة عليهـا وجلست معهم اسأل شفيق افندى عن حياة جانيت لكنه كان مضطربا يرفع عينه ليتكلم فيعود بنظـره الى الارض ومرت فترة سكون قطعتها والدتها لتقول .. جانيت يادكتور ، ربكت حياتنـا نتيجة دلع .. وشـفيق هو السـبب .. من صغرها بيعطف عليها ولا يرد لهـا طلب ـ كانت تذاكر عند اصـحابها وترفض أن تذاكر مع اخواتها لكنها كانت دائما تنجح . الى ان كانت تلك الليلة التى حضر فيها الاستاذ فؤاد ثائرا لانه راى جانيت فى صحبة شلة من صديقاتها رآها فى عربة احداهن واتفقنا ان تذاكر فى البيت مع اخوتهـا ولا تختلـط بصاحبتها ـ وفعلا منعناها من الخروج فمرضت ثم شفيت وابتـدات تذاكر فى البيت ولكنها رسـبت فى التوجيهية ـ وفى الاجازة وجد لنا الاستاذ فؤاد هذه الشقة بجواره وانتقلنا الى هنـا حتى تكون البنت قريبة منه لاننا خفنا عليهـا من الانحراف ـ كان الاستاذ فؤاد يحضر يوميا وابتدأ يذاكر لهـا من الاجازة الصيفية وكان دائما يرعاها يشترى لها كل شيء حتى يلابسها يحضرها لها بنفسه الى المنزل ولا يسمح لها بالخروج ولم تخرج منذ انتقلنا الى هنا الا يوم الامتحان ومع الاستاذ فؤاد وكانت كل يوم ترجع فرحة الى أن كان يوم الثلاثاء يوم مرض الاستاذ فؤاد لم تذاكر واخـيرا اغمى عليها فى اللجنة .

انهت الام كلامها بعـد ان اكملت صورة جانيت فى ذهنى ورايت ان ابدا بابعاد فؤاد وفعلا شددت عليهم الا تراه مهما حدث وان يتصلوا بى اذا احتـاج الامر فى اى وقت ـ الى ان اعود فى مساء الغد . وفى حوالى الواحدة بعد منتصف الليل دق جرس التليفون وكان شفيق افندى هو المتـكلم يرجونى ان احضر حالا لأن جانيت اغلقت على نفسها الباب وتهددهم بالانتحار ان لم يحضروا لها الاستاذ فؤاد .

وصلت المنزل فوجدت الكل يقف على باب الحجرة يتوسـل اليها ان تفتح وحاولت معهم لكنها اصرت وراقبتهـا فوجدتها تنظر الى النافذة نظرات متكررة فيها ما بنفسـها ، فارسـلت والدها يستدعى فؤاد . وعندما احست جانيت بمقدمه فتحت الباب لترتمى عليه وتبكى ـ جلسـنا قليلا حتى هدات فقدمنا لهـا الطعام لكنها رفضت حتى يؤكد لها ان فؤاد لن يتركها بل سيظل معها واخيرا بعد ان اكدنا لها ما ارادت اعطيتهـا مخدرا لتنام وتركتها .

كنت اذهب كل مساء وابتدات اعالجها بالصدمات الكهربائية لكنها كانت ترفض وتظل هكذا الى أن يحضر فؤاد .

ذلك كان ما يشغلنى طوال الايام الاخيرة التى كنت فيها معكم لانى اردت ان ابدأ علاجى بابعاد فؤاد عنها ولكنى فوجئت بمـا اخبرتكم به وكان لابد ان ابدأ من جديد ففضـلت ان ابقى بالمنزل ادرس بعض المراجع وخوفا من ان ابوح لكم بسر مريضتى لكن اليوم ومنذ قليل وجدت الطريق ـ فلا تقلقوا من غيابى لأنى سـأخرج مريضتى الى العـالم الفسيح لاحطم الصـنم الساكن فى اعماقها .